✓ وبعدهم: مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين، داخلون في حكم القطب.

والأفراد الكمّل، الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة، هم الخارجون من حكمه. فإنهم يأخذون من الله، سبحانه، ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلون في حكمه، فإنهم لا يأخذون شيئا إلا منه.

III. المعتقدات الدينية و الحياة المعاصرة:

1. الممارسات السحرية جزء من الاعتقاد الديني:

أ- السحر:

السحر في لغة العرب يطلق على كل سيء خفي سببه ولطف ودق، ولذلك تقول العرب في السيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر، وتصف ملاحة العينين بالسحر، لأنها تصيب القلوب بسهامها خفاء، كما يوصف البيان بالسحر، ومنه قول الرسول: «ومن البيان لسحرا»، وإنما كان بعض البيان سحرا لأنه يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، ويغلب على نفوسهم، ويحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن وجهته، وسمي السحور سحورا لأنه يقع خفيا آخر الليل؛ وتطلق العرب السحر على الخديعة، لأنه يخفى سببها ويدق.[109]

السحر في الاصطلاح: «هو اسم لكل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقته، وجرى مجرى التمويه والخداع». وعرفه ابن عابدين بقوله: «علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية». وعرفه ابن خلدون تعريفا قريبا من التعريفين السابقين فقال: «السحر علوم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني الطلسمات».[110]

يذهب الباحث الألماني أدولف آرمان، المتخصص في المصريات، في كتابه ديانة مصر القديمة إلى أن «السحر نبت وحشي في واحة الدين. وهو عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الإنسان. وإنه من الخير أن نتعرف كيف يمكن أن ينشأ الاعتقاد بإمكان القيام بمثل هذا العمل قد يبدو أن الإله قد استجاب للدعاء تارة ولم يستجب إلي الدعاء تارة أخرى، وعند ذلك يطرأ قسرا على الفكر أن العبارة التي صيغ فيها الدعاء أول مرة قد لقيت عند الإله قبولا خاصا؛ لذلك يعد هذا التركيب أفضل تركيب من نوعه ويغدو صيغة لا يلبث الإنسان أن يعتقد أنّ لها مفعول لا يخيب، وأنها تقهر القدر»[(111)].

---

109 سليمان الأشقر: عالم السعر والشعوذة، دار النفائس للنسر والتوزيع، الطبعة الرابع، عمان- الأردن، سنة 2002، ص ص 69-70

110 أورد هذه التعريفات سليمان الأشقر في كتابه: عالم السعر والشعوذة، مرجع سابق، ص 72.

111أودلف آرمان. ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، (القاهرة: الهيئة المصريةالعامة للكتاب، 1997)،

وفي معجم الحضارة المصرية القديمة تحت مادة سحر ترد القصة التالية التي تقول بأنه «عقدت مباراة بين النبي موسى وسحرة الفرعون فدمرهم بسبب خداعهم بأنْ ألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين ابتلع ثعابينهم فخروا له ساجدين. وما أسرار المقابر الملكية المروعة وقصص الخوارق إلا خزعبلات، رغم رسوخ الاعتقاد بحلول لعنة الفراعنة على منتهكي حرمة المقابر. وجعلت هذه الأمور مصر القديمة دولة السحر. والحقيقة أنّ السحر كان يحكم في أرض الفراعنة، وليست الأسطورة التي أسكنت وادي النيل بالسحرة خطا؛ والبرهان على هذا متيسّرة، إذ تدلّ القصص الشعبية والتمائم وتلك التعاويذ المكتوبة التي تملأ خزائن المتاحف على أن السحر جاء واستقر في أرض السحرة»[112].

يشير إلى أنّ «السحر كان أولا وقبل كل شيء إيمانا مطلقا بالقوة الخارقة للصوت، ولم يعتبر الشخص البدائي اسم الكائن الحي أو الجسم وسيلة لتسهيل تبادل الآراء بين الناس بل اعتبره الكائن الحي أو الشيء نفسه. إنه بمجرد النطق باسمٍ ما كان يخلق ذلك المخلوق أو الشيء. وتزخر قصص الخليقة بفقرات تنص على أنه ليس على الخالق إلا أن ينطق باسم كل عنصر من مكونات الخلق حتى يبادر ذلك العنصر في الحال بأن يأخذ مكانه المحدّد».113

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ لاهوت "منف" تعتقد أن الإله الخالق "بتاح" أو "فتاح" بالتفكير في الخلق بقلبه ثم ينطق ذلك بلسانه فيتكوّن الخلق والعالم والكون. وهي نظرية الخلق بواسطة الكلمة والتي تعرف في الثقافة الإسلامية بـ«كن فيكون».

ويذهب روبير جاك تيبو الباحث الفرنسي في المصريات ومؤلف موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية إلى اتجاه يرى فيه «أن مصر القديمة كانت تضم العديد من الكهنة السحرة ولكن ليس بالمعنى المفهوم في عصرنا الحالي. فالكاهن الساحر[114]كان مجرد مفسر ومترجم لدى الآلهة، أو أنه كان المتحدث بلسان الآلهة ولكنه لا يستطيع أن يضع أي شيء خارج نطاق العالم ولا يمكنه تحويل المادة لفائدته أو لمنفعته الشخصية أو حتى لصالح المجموع. ويرى أنه على الرغم مما يحظي به الفرعون من قوة ومقدرة فإنه لا يستطيع أن يكون هو نفسه ساحرا مع أنه يتمتع بنفوذ مادي على الكائنات. فهو في البداية كان خادما للحقيقة والعدل؛ وبالإضافة إلى ذلك فهو الوسيط والشفيع بين السماء والبشر؛ وبهذا فإنه من خلاله شخصيا تستطيع الآلهة أن تكشف عن قدرتها وهيمنتها. وكان ذلك أيضا وضع الرسل والنساك»[115].

112جورج بونزوآخرون. ***معجم الحضارة المصرية القديمة***، *ترجمة:أمين سلامة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996)، ص 187.*

113 راجع في المعنى اللغوي: لسان العرب: 106/2. والقاموس المحيط ص519.

114صفة الكاهن الساحر، تعني العليم بالأمور. انظر:

THE NEW DICTIONARY OF CULTURAL LITERACY, P, 311.

115روبير جاك تيبو. ***موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية***، *ترجمة فاطمة عبد الله، (القاهرة: مشروع الترجمة في المجلس الأعلى للثقافة، 1998)، ص 165.*

ب- نشأة السحر:

يُرجع روبرتسن سميث (Robertson Smith)ظهور السحر إلى عصور التفكك الاجتماعي عند الإنسان البدائي ويرى أنّ «الدين باعتباره شيئا آخر غير السحر والشعوذة؛ فهو يخاطب الأفراد المقربين وينصب علي كيانات ودودة قد تغضب أحيانا على قومها ولكنها دائما تتسم بالسماحة باستثناء الأعداء أو المارقين على المجتمع». ويضيف بأن الدين الحقيقي لا يبدأ بخوف غامض من قوي مجهولة بل بتقديس ودي لآلهة معروفة ترتبط مع أتباعها بعلاقات وثيقة . ويشير إلى «أنّ قوي السحر الغيبية القائمة علي الرعب والطقوس التي تهدف الي مهادنة الآلهة الغريبة لم تبدأ في غزو الدين القبلي أو القومي إلا في عصور التفكّك الاجتماعي»[116].

يرى الباحثون في الأنثروبيولوجيا وتاريخ الأديان أن هناك تداخلا بين السحر والدين سواء في النشأة أم في استراتيجية العمل. يشير بعض الباحثين إلى أنّ السحر والدين نشأ معًا حينما واجه الإنسان الأوّل الطبيعة وغوامض الكون وسعى إلى محاولة تأمين حياته. ومن أقدم أشكال سعيه لحماية نفسه وتأمين بقائه فيعالم غير مهتم بوجوده وغير مكترث لموته ولا يدري عن الصعوبات التي تواجهه؛ فحاول ذلك الإنسان النفاذ إلى مكنونات الغوامض التي واجهه به العالم؛ ومن تلك المحاولات سعى لدرء الشر مما يعتقد أنه خطر يتربص به من قوي فوق طبيعية ومحاولة الانتقال من مرحلة استرضائها لتكون معه لا عليه. ومن المسعى الأول في درء الشر نشأ السحر ومن المسعى الثاني في الاسترضاء نشأ الدين. لقد بدأ السحر والدين معًا لكن انفصالهما كان محتوما؛ فرغم أنهما نشأ بسبب خوف الإنسان وفضول هو نزوعه نحو القوة وسعيه إلى تأمين بقائه وإشباع حاجاته إلا أن اختلاف مقومات كل منهما أدى إلى قيام الصراع بينهما.

يشار إلى أن كلا من السحر والدين يؤمّنان للإنسان الأدوات التي تمكنه من فرض نوع من التحكم بالظواهر الطبيعية وجعلها تعمل لصالحه وتتيح له في الوقت ذاته التعامل مع قوى خفية آمن بوجودها باعتبارها تكمن في الظواهر الطبيعية كلها. فالسحر يتضمن تجسيدا لاعتقاد الإنسان بأنه قادر على التحكم في ظواهر الطبيعة، وهي ظواهر يشترك السحر مع الدين في الاعتقاد بمرونتها وقابليتها للتحكم والتعديل. في حين أن الدين يجسد اعتقاد الإنسان بأنه أضعف شأنا من أن يتحكم في ظواهر الطبيعة أو يستغل مرونتها وقابليتها للتعديل لصالحه؛ وهو اعتقاد يجعله يتنصل من طاقة السحر والاكتفاء بمحاولة الوصول إلى القوى العليا عن طريق ممارسة طقوس معينة كالصلاة والشعائر في محاولة لاسترضاء القوى العليا التي يعتقدها لكي تعمل تلك القوى لحسابه في التحكم في ظواهر الطبيعة فتجلب له الخير وتكف عنه أذى القوي الخفية الشريرة.[117]

Roget's II: The New Thesaurus

116*ROBERTSON SMITH, P. 57*

117 انظر: ROGET'S II: THE NEW THESAURUS, PP. 92-94

وعلى الرغم من العنصر المشترك بين السحر والدين في أنهما يؤمنان بقوى خفيّة تسيطر على الكون وتتحكّم به إلا أن الفرق هو في وسيلة الاتّصال بتلك القوى. وبسبب هذا التقارب بينهما نشأ الصراع الذي كان له طابع التنافس في البداية وما لبث أن تحوّل مع الزمن والأجيال إلى نوع من العداء المستحكم جعل الدين يُحرّم السحر ويُجرّم المتعامل معه. ومن وجهة نظر الدين الإسلامي فإنّ السحر نشأ من مصدر سماوي. فالملكان **هاروت وماروت**[118] نزلا من السماء وهما يحملان معهما السحر في مدينة بابل. وتعلم منهما الناس السحر الذي ينفع مع التحذير من الفتنة المرتبطة بذلك السحر.

ج- السحر عند بن خلدون:

يشير ابن خلدون في مقدمته إلى أن «علوم السحر والطلسمات119 هي علوم بكيفيةٍ تقتدر النفوس بها على التأثيرات في عالم العناصر؛ إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية . والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات»[120]. وهو يشير هنا إلى نوعين من السحر وكأن الطلسمات نوع من أنواع السحر يبدو أنه يحمل شفرة أقل درجة مما يحمله السحر ذاته.

118قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 102].

القصة:

والقصة: أن اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة والشعوذة التي كانت تُقْرأ في زمن ملك سليمان عليه السلام. وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان عليه السلام، حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب، وكانوا يقولون هذا علم سليمان عليه السلام، وما تمَّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والطير والريح، فأنزل الله هذين الملكين هاروت وماروت لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله وللتمييز بين السحر والمعجزة وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم السلام وبين كلام السحرة.

وما يُعلِّم هاروت وماروت من أحدٍ حتى ينصحاه، ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله، فمن تعلم منا السحر واعتقده وعمل به كفر، ومن تعلَّم وتوقَّى عمله ثبت على الإيمان.

فيتعلم الناس من هاروت وماروت علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين، ولكن لا يستطيعون أن يضروا بالسحر أحداً إلا بإذن الله تعالى، لأن السحر من الأسباب التي لا تؤثر بنفسها بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه.

فيتعلم الناس الذي يضرهم ولا ينفعهم في الآخرة لأنهم سخروا هذا العلم لمضرة الأشخاص.

ولقد علم اليهود أن من استبدل الذي تتلوه الشياطين من كتاب الله ليس له نصيب من الجنة في الآخرة، فبئس هذا العمل الذي فعلوه.

والخلاصة: أن الله تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء به سليمان وأتم له الله به ملكه، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر، ليفرق بين المعجزة والسحر.

119 طلسم وجمعها طلاسم (تسمى في اللاتينية AMULETUM ولفظها في اليونانية قريب للفظ العربي، ومن العربية انتقل اللفظ إلى اللغة الإنكليزية (TALISMANهي خطوط وكتابات لا تحتوي على معنى واضح ومفهوم يستخدمها السحرة أو أتباع بعض المعتقدات وتكون تعويذة ما يزعم أنها تدفع كل مؤذ و/أو تجلب الحظ السعيد. الطلاسم عادة تكون كتابة على ورق لكن أحياناً قد تشمل أحجار عليها نقوش أو رموز صلبة أو خرز وكذلك قد تشمل ما يسمى الحرز.

تاريخ الطلاسم: وجدت الطلاسم لدى المشعوذين القدماء لدى المغارب؛ حضارات عديدة في الشرق الأوسط ومن بينها حضارات بلاد ما بين النهرين ومن ضمنهم السومريون والبابليين القدماء إضافة إلى الفراعنة والعرب في الجاهلية

الطلاسم والفلكلور: تدخل الطلاسم في تراث العديد من شعوب العالم حيث انها كانت موجودة لدى الفراعنة على شكل عين حورس إضافة إلى وجودها في فلكلور شعوب جنوب شرق آسيا والصين وأفريقيا.

120عبدالرحمن بن خلدون. ***مقدمة بن خلدون***، (القاهرة: طبعة دار المعارف المصرية، كتاب الشعب، ب ت)، ص467.

ويفرق ابن خلدون بين السحر والدين من خلال تفريقه بين الساحر والنبي، يقول: «هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر؛ ذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع إلا أنها مختلفة بالخواص، وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية لا توجد بالصنف الآخر، وصارت هذه الخواص فطرة وجبلة لصنفها. فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصة تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة وما يتبع ذلك في التأثير بالأكوان. أما نفوس السحرة فلها خاصية التأثير في الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية»[121]. فهو يعطي الساحر طاقة ذاتية تجعله قادرا على التأثير في الكون من خلال ما تملكه نفسه من مقومات خاصة، في حين أن النبي يملك مقومات شبيهة بما لدى الساحر لكنها مقومات ليست ذاتية فيه وإنما وهبت له من قوى غيبية كالملائكة ليتخاطب بتلك المقومات مع القوى الغيبية ويكتسب المعرفة التي تؤهله للحصول على الطاقة التي تؤثر في الكون. ورغم أن في ذلك إعلاء من شأن الساحر بمنحه سمات غير بشريّة في نفسه إلا أن ابن خلدون ينسب ذلك إلى الشيطان، يقول: « فأما تأثير الأنبياء فبمدد إلهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوي شيطانية»[122].

ويبدو أنه قصد بنفوس الكهنة السحرة. ومن الملاحظ على تفريق ابن خلدون بين الساحر والنبي أنه تفريق يقوم على النظر في مصدر الطاقة التي يعتمد عليها الساحر أو النبي، فمصدر الطاقة يكون الشيطان في حال الساحر ويكون الملائكة في حال النبي. ولا شك أن مصدر الطاقة سواء أكان الشيطان أم الملائكة هو مصدر غيبي يمثل قوة يعتمد عليها صاحب الفعل المنسوب إليه العمل الديني أو السحري؛ ويصعب على الباحث التثبّت من المصدر عند النظر إلى طبيعة الفعل إلا من خلال نتيجته الإيجابية أو السلبية.

يقسم ابن خلدون النفوس الساحرة إلى ثلاث أنواع هي، «الأول: المؤثر بالهمة فقط من غير معين وهو ما يسميه الفلاسفة السحر. والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول. والثالث هو تأثير القوى المتخيلة ويعمد هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرّف بها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون وكأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك ويسمي هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة»[123].

ومن الواضح أن ترتيب أنواع النفوس الساحرة كان ترتيبا بحسب قوتها؛ فالسحر يعتبر أعلى درجة من حيث القوة باستقلاليته عن المعين، في حين أن الطلسمات هي محاولة فلكية معينة ربما يكون السعي من ورائها منتجا لمعرفة مستقبلية معينة أكثر من كونه مؤثرا في الكون كما هو مع السحر. أما النوع الثالث الذي أشار إليه ابن خلدون من

121 ابن خلدون،**المقدمة**، ص 468.

122ابن خلدون، **المقدمة**، ص 469.

123ابن خلدون، **المقدمة**، ص 468.

التأثير بالمخيلة أو الشعبذة فهو قريب مما يعرف اليوم بعلم النفس الغيبي أو البارا سيكولوجي(Parapsychology)[124]الذي يستند على طاقة التخاطر وهي طاقة نفسية ذهنية يستطيع من يمتكها أن يرسل من عقله رسالة تخاطرية إلى عقل آخر أو إلى عدة عقول بحيث يرون أشياء هي في الحقيقة لا تحدث ولكن هذه العقول تراها بالنظر كما لو كانت واقعة ومتحققة[125].

د- منهج جيميس فريزر:

عرض جيمس فريزر (James Frezer) الباحث الأنثروبيولوجي، رأيه في السحر والدين في الجزء الأول من كتابه الغصن الذهبيThe Golden Bough ، ثم عرضه بالتفصيل في كتاب مستقل هو الدين والسحر. يشار إلى أن فريزر من المؤمنين بتشابه الجنس البشري في كثير من السمات الأساسية في التعامل مع معطيات الحياة المختلفة؛ ولهذا فقد اعتمد على الاستنباط المستمد مما يعرف بالرواسب الثقافية[126] في المجتمعات بسبب أن موضوع السحر والدين وما ارتبط بهما من مفاهيم كالأسطورة والخرافة يرجع في نشأته إلى مراحل موغلة في القدم ويصعب الحصول على المعلومات والبيانات الدقيقة عنه لاسيما وقد اندثرت بعض مظاهر الحضارة في تلك الأزمنة. لهذا كان الاستناد إلى الرواسب الثقافية باعتبارها السمات الثقافية التي تلكأت في سيرها و لم تتطور بنفس السرعة التي تطورت النظم في مجتمعات أخرى – وسيلة مهمة للتعرف على بعض المظاهر ذات الجذور القديمة ومنها السحر والدين.

وتتمثل هذه الرواسب الثقافية في بعض العادات التي يمارسها العالم المتحضر دون أن يدرك لوجودها سبب معين، كما يتمسك بها الناس دون أن يعرفوا معناها الأصلي. كما تتمثل في الرواسب والبقايا في النظم الاجتماعية والأنساق الثقافية السائدة في المجتمعات البدائية علي اعتبار أن هذه المجتمعات تمثل مراحل سابقة في تاريخ المجتمعات الإنسانية ككل. وجدير بالذكر أن فريزر تعامل مع مفهوم الرواسب الثقافية لكنه لم يترك تعريفا

124يتألف مصطلح الباراسيكولوجي «ما وراء علم النفس» من شقين أحدهما البارا (PARA) ويعني قرب أو جانب أو ما وراء، أما الشق الثاني فهو سيكولوجي (PSYCHOLOGY)ويعني علم النفس، وفي الوطن العربي هناك من سماه الخارقية، ومن سماه علم القابليات الروحية، ومن سماه علم نفس الحاسة السادسة ولكنه ظل محتفظا باسمه لعدم الاتفاق على تسمية عربية موحدة له.

وكان الفيلسوف الألماني ماكس ديسوار عام 1889م أول من استخدم هذا المصطلح ليشير من خلاله إلى الدراسة العلمية للإدراك فوق الحسي والتحريك النفسي «الروحي» والظواهر والقدرات الأخرى ذات الصلة، وتعددت التسميات حتى أصبح يطلق عليه في كثير من الأحيان «الساي»،وللباراسيكولوجي موضوع يدرسه وهو القدرات فوق الحسية »الخارقة» كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري والاستشفاء وتحريك الأشياء والتنويم الإيحائي «المغناطيسي» وخبرة الخروج من الجسد... الخ، أما المنهج الذي يستخدمه هذا العلم فهو المنهج العلمي الحديث مع شيء من التطوير الذي تقتضيه طبيعة الظاهرة المدروسة وهذا هو الرد على من يريد أن يعرف «هل الباراسيكولوجي علم أم لا» فهو قديم في ظواهره وقدراته، جديد بمنهجه ووسائله وأساليبه، ويبدأ بالفهم والتفسير ويمر بالتنبؤ حتى يصل إلى الضبط والتحكم بالقدرات التي يدرسها.

125للمزيد يمكن الاطلاع على:PSYCHOLOGICALSUPERNATURALOCCURRENCES, P. 49

126«الراسب الثقافي عنصر أو مركب ثقافي تغيرت وظيفته الأصلية بمرور الزمن بحيث أصبح استعماله مجرد اتفاق شكلي».

إيكهولتكرانس، **قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور**، ترجمة حسن الشامي ومحمد الجواهري، (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1973)، ص214.

محددا لاصطلاح الرواسب الثقافيه سوى إشارته إلى المحددات السابقة، ويعد تايلور (Tylor) أبرز من وضع هذا المفهوم في مصطلح معروف في الأنثروبيولوجيا[127].

يعدّ فريزر من أبرز من أسهم في دراسة السحر والدين في الدراسات الأنثربولوجية التطورية. فقد حاول الربط بين السحر والعلم اللذين يقفان موقف التعارض مع الدين، ولكنهما يقومان على أسس ومبادىء منطقية واحدة تعتمد علي تداعي المعاني وترابط الأفكار. ويرى أن عملية التداعي في السحر تتم بطريقة خاطئة، لذلك أطلق على السحر لفظ "العلم الزائف"[128].

يقوم السحر عند فريزر على مبدئين أساسيين هما: الأول، أن الشبيه ينتج الشبيه؛ ويعني هذا أنك إذا صنعت دمية تشبه الشخص العدو مثلا وقمت بقتلها فإن هذا العدو سيموت وفقا لمبدأ أن "الشبيه ينتج الشبيه". أمّا المبدأ الثاني فهو استمرار التأثير المتبادل بين الأشياء المتصلة حتي بعد انفصالها عن بعضها البعض. فالأشياء التي كانت متصلة في وقت من الأوقات يؤثر كل منها في الآخر حتى بعد انفصالها.

يعتبر فريزر هذين المبدئين قانون السحر البدائي باعتبار ذلك ممثلا لموقف الرجل البدائي من العالم ونظرته إليه. وفكرته في وضع قانون السحر قائمة على أساس ملاحظة البدائي وخبرته الطويلة مع ظواهر الحياة وأحداثها وتقلب الفصول؛ وهذه أسس مهمة في قيام العلم والتفسير العلمي. ومن هنا جاء ربط فريزر بين السحر والعلم.

ميَّز فريزر بين السحر والدين على أساس أنّ الدين يشترط الاعتقاد في الكائنات الروحية أو الإلهية والأرباب في حين يتألّف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر التي تتصل بالكائنات الأخرى مثل الأشباح. ويعتمد السحر على عبارات وتعاويذ وصيغ قد لا تكون مفهومة عند مستخدميها بخلاف الدين الذي يستخدم اللغة العادية السائدة في المجتمع. ويبدو أن فريزر اعتمد في هذا التفريق على الصورة الحديثة للسحر والدين، إذ لا نعلم عن مدى معرفة السحرة بالتعاويذ التي يرددونها في تلك الفترة التي قيلت فيها؛ ومن هنا فإن هذا التفريق بين السحر والدين من جانب لغوي يبدو أنه ليس فرقا جوهريا بدرجة كافية.

على أن فريزر يرى أن السحر سابق للدين في الوجود بخلاف الرأي القائل بوجودهما معًا. فهو يرى أن السحر هو الذي مهد لظهور الدين وأن معظم الممارسات والطقوس التي تتصل بعالم الغيبيات وبالكائنات ذات

---

127 على أن مصطلح الرواسب الثقافية يستخدم في الفلكلور بمعنى يختلف عن استخدامه في الأنثروبيولوجيا باعتبار تلك الرواسب تمثل الآثار العتيقة الدارجة، أو الآثار الثقافية القائمة التي لايعرف أصلها أو مصدرها بالدقة الكافية. لمزيد من التفصيل ينظر:

MALNOFISKY, *A SCIENTIFIC THEORY OF CULTURE*, PP. 54-57.

128James Frazer. *The Golden Bough: a Study in Magic and Religion*, (1st edition, 1890), PP. 17-22.

الصفات الخارقة للطبيعة هي في الأصل ممارسات وطقوس سحرية اتخذت طريقا إلى الدين الذي نشا بعد ذلك[129].

ه- السحر والدين:

الأشياء المحرمة على فئتين، فقد تكون طاهرة وقد تكون نجسة، وإذا درسنا السحر وجدنا أن معظم محرماته تستمد قوتها من الأشياء النجسة، ومن أمثال القاذورات والأوساخ والشعر والحيض والبول والعظام. وإذا تناول الساحر الأشياء المحللة عمد بادئ ذي بدء إلى تنجيسها. أما الدين فهو على نقيض السحر، إذ المحرمات فيه أبدا طاهرة، فالكتب المقدسة طاهرة والمعبد طاهر والمسجد طاهر...وهكذا نستطيع أن نفرق بين الدين والسحر بقولنا إن الأول يستمد قوته من المحرم الطاهر والثاني من المحرم النجس.

لا جرم أن التمييز بين هاتين الفئتين من أدق المسائل التي تعرض لعلم الانثروبولوجيا، لأن مدار عملها على التصورات المشتركة والأعمال التي بواسطتها يستغل الإنسان القوى المنتشرة في أرجاء العالم، زد على ذلك أن كل ديانة جديدة تنعت بالسحرية الديانة القديمة البائدة.

ويأتينا ماريت، للفرق بين السحر والدين، بما يكاد يقرب منه ما اقترحناه؛ فعند الول يشتمل على جميع الوسائط الطالحة، والثاني على جميع الوسائط الصالحة، للتقرب إلى ما فوق الطبيعة. أما المدرسة الفرنسية فتراعي في تمييزها القواعد العامة التي قررتها في شأن الفرد والمجتمع. يقول رينيه هوبير: «السحر جملة من العقائد مفادها أن بعض الطقوس، من إشارات وأقوال، لها القدرة على التأثير في الأشياء والكائنات، بل في استعدادات الفرد الخلقية، وما هو سوى استغلال أكثر ما يكون فرديا للقوى المبثوثة في أرجاء العالم، كما تؤمن به المنطقية الأولية».130وهذا ما ذهب إليه العالمان هوبير وموس إذ عرفا السحر بأنه جملة من الطقوس السرية، الخاصة الممنوعة، تمتاز من الطقوس الدينية بكون الذبيحة ليست من شروطها الأساسية.

وعليه، فإن ما يميز السحر من الدين هو أن الأول من الطقوس الخاصة الفردية، والثاني من الطقوس العامة الاجتماعية، أي أن الساحر يقوم بعملية في مصلحة فرد أو بضعة أفراد بينما الكاهن يخدم المجتمع بأسره.

و- السحر والمعجزة والكرامة:

إذا كان السحر يشير إلى تحكم الإنسان في ظواهر الكون والقدرة على التأثير فيها بالاستعانة بقوى غيبية معينة، فإن السحر يشترك مع المعجزة والكرامة في أنها جميعًا ظواهر غير طبيعية تتسم بأنها تخرق القانون

129ينظر: FRAZER, *THE GOLDEN BOUGH: ASTUDY IN MAGIC AND RELIGION, PP. 67-71.*

130 يوسف شلحت، نحو نظرية في علم الاجتماع الديني (الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)، تحقيق وتقديم خليل أحمد خليل، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، سنة 2003، ص 56.

الطبيعي للأشياء المادية. لكن الفروق بين هذه الممارسات يكمن في مصدرها؛ فالسحر يصدر من شخص يسمّى ساحرا في حين أن المعجزة يأتي بها شخص يسمّى نبيّا والكرامة الصوفية تأتي كذلك من شخص يُسمّى وليّا[131]. وبناء على مصدر الممارسة يمكن تصنيف العمل على أنه سحر أو معجزة أو كرامة؛ فالنبي شخصية دينية تمثل وسيطا بين الله ومخلوقاته؛ أما الولي فهو شخصية دينية أقل مرتبة من النبي لكنه وصل إلى درجات عالية من الصلاح فأصبح في موقع معين يتوسط فيه للمؤمن العادي مع النبي أو مع الله بحسب الاتجاه الصوفي الذي يتبعه.

يلاحظ أنه ليس ثمة فارق كبير بين الساحر والنبي والولي من حيث العمل إذا نُظر إليه مجردا من النزعة الأيديولوجية؛ لكن الساحر يعتبر مرفوضا والنبي مقدسا والولي مكرما وفق النظرة الدينية، وهو أمر مهم في تقرير سمات كل صنف. تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك باحثين يرون أن طبيعة الممارسة الصادرة من الساحر والنبي والولي تُصنف في خانة السحر[132].

وبسبب التداخل في هذه الممارسات والالتباس بينها فقد ذكر النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء أن الفعل الخارق ثلاثة أقسام: القسم الأول، هو أن يكون مع الدعوى، وله أربعة أصناف: الأول ادعاء الألوهية، والثاني ادعاء النبوة، والثالث ادّعاء الولاية، والرابع ادّعاء السحر.

والقسم الثاني هو أن تظهر خوارق العادات علي يد شخص من غير شيء من الدعاوى ويفرق بين حالين، الحال الأول أن يكون الشخص صالحا ويسمي وليا وفعله من قبيل كرامات الأولياء. والحال الثاني أن يكون الشخص خبيثا مذنبا وقد أنكر المعتزلة جواز ذلك وإن اقره الصوفية[133].

القسم الثالث هو أن تظهر خوارق العادات على بعض من كان مردودا عن طاعة الله ويسمي ذلك بـ "الاستدراج". ويُعرّف الاستدراج بأنه «الخارق الذي يظهر من الكفار وأهل الفسوق»[134]

يلاحظ من التعريفات السابقة التي تسعى إلى التفريق بين الممارسات المختلفة المنسوبة للساحر أو النبي أو الولي أنها لا تركز على طبيعة الفعل بقدر اهتمامها بالمصدر الذي تنسب إليه تلك الممارسة. وبناء على ما يتسم به المصدر من سمات يغلب عليها أنها سمات غيبية تتعلق بالإيمان والصلاح أو بالفساد والشر تكتسب تلك

131يشار هنا إلى أن الآيات لله والمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياءولخيار المسلمين. وقد سميت معجزات لإعجاز الخلق أن ياتوا بمثلها؛ فمن أثبتمن ذلك شيئا لغير الأنبياء فقد ساواهم بهم.والفرق بين المعجزةوالكرامة أن الأنبياءمامورونبإظهارالمعجزاتأما الولي فعليه أن يستر كرامته. انظر: عبد المنعم الحفني، **المعجم الصوفي**، ص 57.

132من الباحثين العرب القائلين بهذا الرأي، على سبيل المثال: سيد محمود القمني في كتابه النبي موسي وآخر أيام تل العمارنة، ج3،(القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة، ط1، 1999). وشفيقمقار كتابه السحر فيالتوراة والعهد القديم الذي اعتمد في بعض أفكاره على ماجاء عند سيغموندفرويد في كتابه موسيوالتوحيد.يقول مقار:«إن موسي لم يكن سوي شامانا /ساحرا وأنه اعترف من السحر المصري ما اعترف».وفسر على هذا الأساس كل المعجزات الواردة في العهد القديم وكذلك معجزات أنبياءالتوراة والعهد القديم مثل "ايليا" و "اشعيا" وغيرهما.شفيق مقار . السحر في التوراة والعهد القديم، (لندن: دار رياض الريس،ط1، 1990)، ص 149.

133يوسف بن إسماعيل النبهاني. جامع كرامات الأولياء، ص 46

134الحفني، المعجم الصوفي. كما يوضح النبهاني الفرق بينالكرامة والاستدراج بأن«معنى الاستدراج أنيعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد في غيه وضلاله فيزداد عن اللهبعدا [...] والاستدراجاتأنواع عدة هي : الاستدراج و المكر والكيد الاملاءوالاهلاك [...] وأن صاحب الكرامة لايستانس بتلك الكرامة عند ظهورها عليه خوفا من أنتكون استدراجا من الله وامتحانا له.وإذا أدت الكرامةأو الفعل الخارق إلى غروروفساد كان ذلك استدراجا لا كرامة».

الممارسات صفاتها التي تفترق به عن غيرها. ومن هنا فليس مستغربا أن يصنّف عمل معين على أنه سحر عند فئة معينة وفي الوقت نفسه يصنّف على أنه نبوّة أو كرامة عند فئة أخرى لأن الفرق في التصنيف قائم على النظر إلى مصدر العمل لا إلى العمل نفسه.

2. الاعتقاد في الجن و الشياطين:

أ- الجن: الاسم والمعنى:

الجِنّ (اسم جمع لكلمة "الجَانّ"، ومفردها "جِنّيّ"، أو "جِنّيَّة")، وفي القاموس: المفرد يسمى جني والأنثى تسمى جنية، وهو من الفعل جَن (بفتح الجيم وتشديد النون وفتحها) وهو بمعنى أستتر وغطى ومنها قولهُ في القرآن: ((فلما جن عليه الليل))، أي سترهُ ظلام الليل وغطاه، وهم وبحسب الأديان والأساطير العربية القديمة الجن مخلوقات تعيش في ذات العالم ولكن لا يمكن رؤيتها عادة، وهي خارقة للطبيعة، لها عقول وفهم، ويقال إنما سميت بذلك لأنها تستتر ولا تُرى.[135] فلم ينكر المعتقد الإسلامي على العرب وجودها، بل أَفرد جزءاً ليس بيسير ليتحدث عنها في النصوص الدينية الإسلامية مزاوجا في كثير من الأحيان بين "الإنس" (أي الناس أو البشر) و"الجن."[136]

يعتقد الكثير من الناس بوجودها وبأنها هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولها قدرة على عمل الأعمال الشاقة، كما أجمع المسلمون قاطبة على أن النبي محمد مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس ولقد ورد ذكر ذلك في القرآن: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.[137] وهناك سورة كاملة في القرآن اسمها سورة الجن.

ب- الشيطان: الإسم والمعنى:

الشيطان كائن خارق للعادة يعتبر تجسيدا للشر في كثير من الثقافات والأديان باختلاف المسميات وفي أحيان كثيرة عدوا ونقيضا للإله.[138] فهو ممثل الشر وكل ماينطوي تحته من أفعال وأفكار في حرب مقدسة أو كونية مع قوى الخير وأدق المصطلحات الفلسفية لوصف علاقة الشيطان بالإله هي الثنوية. فالإله يمثل قوى الخير والنور التي تقاتل لأجل نجاة الأرواح البشرية من شر الشيطان وأعوانه.

---

135 عمر سليمان الأشقر: عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح، الطبعة الرابعة، الكويت، سنة 1974، ص 11.

136 موسوعة ويكيبيديا على الرابط: HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI/%D8%AC%D9%86

137 سورة الأنعام، الآية 19.

138 الشيطان ـ الموسوعة البريطانية نسخة محفوظة 29 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.